﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾:

الحلال فَعال من الحِلِّ والحَلِّ مقابل العقد، فالشيء غير المعقود ولا المحظور حلال، سواءٌ سبقه عقد الحظر أم لم يسبقه، وليس للمأكول مما في الأرض سابق حظر كأصل، إلّا أنه لله، فلا يحل أكله إلّا بمرضاة الله، وهو يُحِلّه في أمثال هذه الآية كأصل وضابطة عامة تُحِلُّ الحظر عما يؤكل.

والطيب - هنا - هو كلّ ما تستطيبه النفس أكلاً، وطبعاً النفس الباقية على الطبع الإنساني الأولى، دون المنحرف عنه، المنجرف إلى دركات الحيونة الوحشية التي تستطيب أكل كلّ ما يمكن ابتلاعه، مهما كان حشرة، كما في الطباع الأوروبية المنحرفة عن إنسانيتها.

ثم هي النفوس ككلّ، دون كلّ نفس، فقد يُستطابُ أكل شيءٍ عند أشخاص خصوص متخلفة عن الجماهير، أم يُستقذر كذلك، والمعيار هو الاستطابة الجماهيرية بالطباع الأوّلية، حيث الأحكام الشرعية يُراعى في تشريعها جمهرة الناس دون الخواص.

أترى ﴿مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تبعيض لمأكولات الأرض، أن: كلوا بعض المأكولات، ثم ﴿حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ بيان لذلك البعض؟ فهما - إذاً - حالان لـ﴿مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أم مفعولان لـ﴿كُلُواْ﴾؟ فالآية - إذاً - مجملة بالنسبة لـ﴿حَلَٰلٗا﴾ إذ لم يبيّن الحلال مهما عرف ﴿طَيِّبٗا﴾ بما تعرفناه!.

فلنعرف خصوص الحلال مما في الأرض، الطيب، حتى يُسمح لنا أكله، فحين نشكّ في حلِّه الخاص لا يحل أكله، وهذه هي أصالة الحظر، المطرودة بنصوص كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾[1] وقد تُنافي - أيضاً - سماحة هذه الشرعة وسهولتها!.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

أم إن ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تبعيضٌ لما في الأرض، فإن منه مأكولاً ومنه غير مأكول، ولم يقيد النص ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمأكول، حتى يبعَّض بأداته، فمطلق النص ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يشمل كلّ ما في الأرض، ثم ﴿مِنَ﴾ تبعِّضه بالبعض المأكول.

إذاً فـ ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سماح عام لأكل كلِّ ما يؤكل، فهل إن ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ هما مفعولان لـ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تقييداً لسماح الأكل؟

فكذلك الأمر! حيث الآية - إذاً - مجملة في الحلِّ، ثم ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ دون قيد الحل، و﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ الحاصرة الحرمة فيما حصرت مهما كان نسبيّاً هما لا تساعدان على أصالة الحظر، أم إجمال الآية في الحِلِّ!.

أم أنهما حالان لـ ﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كما لـ ﴿كُلُواْ﴾ كلوا أكلاً حلالاً طيباً، مما في الأرض حلالاً طيباً، حلّاً عاماً كضابطة لأصل الجواز، وطيباً تقييد لذلك الحل كأوَّل ما يقيد الأكل والمأكول، وكما تؤيده ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ...﴾ إذاً في ﴿حَلَٰلًا﴾ حال لواقع الأكل والمأكول على أية حال، ثم ﴿طَيِّبًا﴾ حال ثانٍ أو وصف تقييدي لـ﴿حَلَٰلًا﴾ يخرجه عن إطلاق الحلّ، أم إن ﴿طَيِّبًا﴾ لها دور ﴿حَلَٰلًا﴾ بياناً لأصالة الطيب، ألّا يسمح باستقذار مأكولٍ ممّا في الأرض إلّا ما ترفضه الطباع الإنسانية، فتُصْبِحُ ﴿طَيِّبًا﴾ أوسع مجالاً مما كان تقييداً، إذاً فيكفي في حلِّ المأكول عدم استقذاره نوعياً واقعياً، لا واستطابته كذلك.

وقد يقيد الأكل عن حلّه العام بعد طيباً بـ ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ و﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[1] ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٩.

طَيِّبًا﴾[١] تقييداً للحلِّ بكونه مما ملكته من مشروعه: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[٢].

إذاً فكلُّ مأكول طيّب يحل أكله بغير باطل، كضابطة عامة، إلّا ما استُثني من حلِّ الأكل مادةً أو مدة، كماً أو كيفاً، فالمشكوك جواز أكله داخل في ضابطة الحل إلّا ما ثبت الحظر عنه بدليل من كتابٍ أو سُنَّةٍ.

ومن القُيود العامة لحل الأكل في آيتنا ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ وكخطوة الإسراف والتبذير فإنهما من الشيطان، وخطوة التحريم لغير المحظور أكله والتحليل للمحظور أكله، وكخطوة أصالة الحظر، مهما اختلفت هذه الدركات في الخطوات، وعلى أية حال فاتِّباع خطوات الشيطان هو الانجذاب في قياده، أن تكونوا سيقةً للشيطان فيما يخطوه.

ولأن الخطوة هي ما بين القَدَمَيْنِ من المسافة حالة المشي، فقد تعني خطواتُ الشيطان وسائله وذرائعه إلى بغيته الأخيرة وهي الإشراك بالله والإلحاد في الله، فليس الشيطان ليورد الإنسان إلى أخيرة المهالك إلّا بخطوات من صغيرة إلى كبيرة إلى كبرى، فعند ذلك الطامة الكبرى وكما قال الله:

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾:

فالسوءُ هنا هو ما دون الفحشاء، كما الفحشاء هنا هي دون ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وبصيغة أخرى الفحشاء هي أقبح أنواع السوء، ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ هي أقبح أنواع الفحشاء، فالفحشاء هي المعصية المتجاوزة حدّها إما في نفسها أم إلى غير العاصي، أم تجمعهما، ثم العقيدة السيئة، والفاحشة هي أفحش من عملية السوء والفحشاء.

(١) سورة النحل، الآية: ١١٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.

فاتِّباع خطوات الشيطان محظور في كلّ الحقول، أكلاً كما هنا، أمّا سواه من أفعال وتروك كما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[١] - ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ... قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ...﴾[٢] - وعلى أية حال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ...﴾[٣]: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، هنا ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ هي قولة الفرية على الله في تحريم أو تحليل ما لم يأذن به الله، وأفحش منه المشاقة الصريحة لحكم الله، أنني أُحرّم مهما أحلَّ الله، أم أُحلِّل مهما حرّم الله.

وقبلهما سوء وفحشاء عملي وعقيدي، فمن سوء عملي أكل الحرام الخفيف مادة وحرمة، ومنه عقيدياً تحليله افتراءً على الله، ومن فحشاء عملي الحرام المغلظ والعقيدي منه فريته على الله، والسوء والفحشاء العقيديان هما أسوأ وأفحش منهما عملياً، فلذلك يفرد العقيدي بالذكر بعد مطلق السوء والفحشاء: ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾.

فقد يعصي العاصي مُعْتَرِفاً أنه عاص، وأخرى محللاً له تقصيراً في التفتيش عن دليل، فتوى بغير علم، أم افتراءً على الله بمعارضة الدليل، أم مشاقة لله بمصارحة أنني أحلل وأحرم، رغم ما حكم الله، وذلك ثالوث منحوس بدركاته الثلاث قد تعمه ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أم قد يفلت الأخير من نصها داخلاً في الأولوية.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.
(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٢، ١٤٣.
(٣) سورة النور، الآية: ٢١.

فالقول على الله بغير علم - بدركاته - هو أسوأ من السوء وأفحش من الفحشاء العمليين، مهما كان القسم الأوّل من الثالوث سوءً أمام الثاني، وهذا فحشاء أمام الثالث من الناحية العقيدية.

فمن السوء عمليّاً في ظلال آيتنا ترك أكل ما لم تثبت حرمته، اللّهم إلّا حائطة ثابتة بدليل، ومنه عقيدياً أصالة الحظر.

كما من الفحشاء عملياً أكل الثابت حرمته، ومنها عقيدياً القول بحليته دون علم، ثم بعلم، ثم فوقهما عمليّاً التورط في المحرمات الكثيرة الكبيرة، وعقيدياً تحليلها افتراءً على الله، أم مشاقة علنية لحكم الله، وكما منه الاستناد إلى القياس والاستحسان أما شابه مما ليس دليلاً شرعياً، بل الأدلة الشرعية تعارضه، كل هذه قد تشمله ثالوث خطوات الشيطان بمختلف دركاتها.

فحذارَ حذار من ويلات خطوات الشيطان، فإنه لا يحمل المؤمن المتقي على ثالثة الدركات إلّا أن يخطو به أولاها ثم ثانيتها، عمليّاً أو عقيدياً، حتى يورده في مسيره إلى مصير الهلاك الأخير «جهنم يَصْلَوْنَها وبئس المصير».

وإنها ثالوث الخطوات في حصر ﴿إِنَّمَا﴾ وليست وراءها خطوة، وهي بين آفاقية عملية ﴿بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ وأخرى أنفسية ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ قولاً بغير علم!.

أترى الشيطان يأمر - فقط - بالسوء و...؟ ونراه قد يأمر - فيما يأمر - بالخير! إنَّ أمره بغير السوء هو في الحق أمر بالسوء فأمر سوء، إذ يتذرعه إغراءً إلى سوءٍ، كمن يأمره بقراءَة القرآن، ثم يجمده على حروفه ويصرفه عن أحكامه فيصبح صاحبه تالياً للقرآن والقرآن يلعنه.

ففي الحق لا يأتي من الشيطان إلّا عملية الشيطنة وعقيدتها مهما أمر في

ظاهر الحال بخير، ثم لا يتمكن الشيطان - أم أيٌّ كان - أن يأمر بسوء وفحشاء بمقدمات كلها شريرة، وإنما يخلط حقاً بباطل وباطلاً بحق وهو بدء وقوع الفتن كما يروى عن قاطع الفتن علي عليه السلام: «إنما بدء وقوع الفتن أهواء تُتَّبَع وأحكام تُبْتَدَعْ يُخالَف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجالٌ رجالاً فلو أن الحق خلص لم يكن للباطل حجة ولو أن الباطل خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضِغثٌ ومن هذا ضِغثٌ فيُمزجان فيجيئان معاً فهنالك استَحْوَذَ الشيطان على أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

فخير الشيطان شرٌّ إذ يبوء إلى شرٍّ، وشرُّ الرحمن خير إذ يبوء إلى خيرٍ ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

وقد يجرّ الشيطانُ الإنسانَ من الأفضل إلى الفاضل ليتذرع به لإخراجه إلى غير الفاضل وإلى الشرِّ، أم يجرُّه من الفاضل الأسهل إلى الأفضل الأشق ليشق عليه فيترك الفضل عن بكرته!.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾:

وذلك هو الدرك الأسفل من الخطوات العقيدية الإبليسية، مشاقَّةُ الله في حكمه بحكم الآباء القدامى التقليديين، معارضة الدليل بالتقليد الخاوي عن الدليل، وقبله خطوة الحكم غير التقليدي خلاف حكم الله، وقبله القول على الله بغير علم دون أية حجة من كتاب أو أثارة من علم قياساً أو استحساناً أما شابه، وقبله الفتوى دون تفتيش صالح عن دليل، دركات أربع عقائدية في خطوات الشيطان، وقبلها أو معها خطوات عملية من سوء إلى فحشاء.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

هنا ﴿قَالُواْ بَلۡ﴾ رفض لاتِّباع ما أنزل الله إلى ﴿مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ اتِّباعاً عملياً وعقيدياً، في تقليد جاهلٍ قاحلٍ ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾.

فـ «لو» الامتناعية هنا تنازلٌ إلى سماح التقليد لو أنهم عقلوا شيئاً واهتدوا، ثم مُماشاة معهم في استحالة ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ ولكن على فرضه - وكما هو الواقع الملموس - أفتتبعون آباءكم ضدَّ ما أنزل الله حتى إذا لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، تقليداً جاهلاً في أصله وفصله ونسله، بعيداً عن كلِّ الأعراف في التقليد مَحْبوراً ومَحْظوراً[1].

فقد يجوز تقليد من يعلم ويهتدي، وترك اتباع ما أنزل الله خلافٌ صارح صارخ للعلم والهدى، فإنه تعالى مصدر العلم والهدى فكيف يُعارَض فيهما بتقليد أعمى؟.

وترى كيف بالإمكان للآباء - أياً كانوا - أنهم ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ وهم يعقلون أشياء ويهتدون إلى أشياء يحتاجونها في حياتهم؟

﴿شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ هنا هو شيءُ الحق، فمن عرف شيئاً من الحق اتبع ما أنزل الله، وكذلك شيءُ الهدى، ثم «لو» قد تلمح إلى أن ذلك فرض أخير لحالة الآباء، وبه تلحق سائر فروض التقليد الجاهل في مسرح اللّايعقل واللّايهتدي وإن قليلاً، حيث التقليد العاقل بحاجة إلى عقل كامل عن شرعة الله، وهدىً شاملة إليها، والتقليد الجاهل هو نفسه من خطوات الشيطان.

وفي تعقيب ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾ بـ ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ عطفاً بعد رَدف، لمحة

(١) الدر المنثور ١: ١٦٧ عن ابن عباس قال دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيراً منا فأنزل الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١١].

بارعة أن الاهتداء هو من خلفيات العقل، مُقدّراً بقدره، فحين لا يعقلون شيئاً من الحق، فهم لا يهتدون إليه بطبيعة الحال، فالعقل ذريعة الهدى كما الهدى حصيلة العقل وكما يروى «العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان».

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾:

علّ ذلك مَثَل للذين كفروا في ثالوث تقليد الآباء، وعبادة الأصنام، وترك قبول الدعوة الإلهية، فالذي ينعق بما لا يسمع - هو في الأخير - الدعوةَ الرسالية، فإنهم لا يسمعونها إلّا دعاءً ونداء كما الأنعام، وفي الأوّلين هو الأوّلان، في نعقهم بآبائهم القدامى وهم أموات، بل وهم عند حياتهم أيضاً أموات عن إجابة صالحة لأبنائهم إذ لا يسمعون إلّا دعاءً ونداءً، وفي نعقهم بأصنامهم أم وطواغيتهم هم بين اللّاإجابة أصلاً إذ لا يسمعون حتى دُعاءً ونِداءً، أو اللّاإجابة حيث إجابتهم لا يحمل سؤالاً لعابديهم.

ولأن ﴿لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ تتضمن السمع، فدُعاء الأصنام - إذاً - هو ضمن المعني من الدعاء، والأصل هو دعوة الرسول ﷺ إياهم ودعوتهم آباءهم، ولأن الآباء القُدامى أموات لا يسمعون حتى دُعاءً ونِداءً، فالأصل هو - فقط - دعوة الرسول إياهم، كما وتؤيده ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ صمٌّ عن سماع كلمة الحق إذْ أصمهم الله بما صمّوا، بكمٌ عن الإفصاح بالحق إذ أبكمهم الله بما خرسوا عن الحق وبكموا، عميٌ عن مشاهدة الحق إذ أَعْماهم الله بما عموا، وبالنتيجة ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فإن عقل الحقائق بحاجة إلى سمعها والإفصاح بها والإبصار إليها، وهم صدّوا عن أنفسهم منافذ العقل ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ بما صمّوا وأبكموا وعمّوا.

فمن أهم منافذ العقل عن الحقائق السمع والبصر واللسان الإنسانية، فالصمُّ البكم العُمي لا يعقلون فلا يهتدون، فهم في ثالوث الضلال بما ضلوا والزيغ بما زاغوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

إذاً فمثلك في دعاء الذين كفروا، أم ومثل الذين كفروا في دعائك إياهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾:

فلما لم يؤثر «يا أيها الناس...» أثره إلّا في الذين آمنوا، فليُكرِّر لهم الخطاب تشريفاً بلقب الإيمان، ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ وهنا تركه ﴿حَلَٰلٗا﴾ يؤيّد حِلّ ﴿حَلَٰلٗا﴾ في آية الناس عن تقيُّد ﴿مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى ضابطة الحل، مهما زاد قيداً بعد ﴿طَيِّبَٰتِ﴾ هو ﴿مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ وليس رزق غيرك رزقك كما ليس رزقُك رزقَ غيرك، فقد تقيّدت أصالة الحل بما رزقك الله، وليس رزقك إلّا ما حصلت عليه من حِلِّه، أم هو رزق جماعي لا مالكَ له شخصياً كالأملاك المشتركة قبل خروجها عن الاشتراك، مثل الغابات والبحار والأنهار حسب الضوابط المقررة في الشرع.

وترى أن الله يرزُقنا مع الطيبات غيرها ثم ينهاها عن غيرها، فلماذا - إذاً - يرزُقنا؟ إنه قد يرزُقنا من غير الطيبات أكلاً ولكنها من الطيبات لغير الأكل كالأصباغ أما شابه! ثم ومن الطيبات ما يُصنع منها غير الطيبات وهي

(١) نور الثقلين ١: ١٥٢ عن أبي جعفر عليه السلام في الآية: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [إبراهيم: ١٨] في دعائك إياهم، أي مثل الداعي لهم إلى الإيمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وإنما تسمع الصوت، فكما أن الأنعام لا يحصل لهم من دعاء الداعي إلّا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك إياهم إلى الإيمان إلّا السماع دون تفهم المعنى. لأنهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه...

رزق غير حسن بما أساء الإنسان: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[١] فثمرات النخيل والأعناب هي كأصلها رزق حسن، وقد يُتَّخذ منها سَكَرٌ وهو غير حسن.

وقد تعني ﴿طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ فيما عنت، أن ما رزقناكم للأكل هي كلها طيبات، إضافةَ الصفة إلى الموصوف: كلوا من الطيبات التي رزقناكم، ولكنه كمعنى خاص يخرج الرزق عن عمومه، الشامل لغير الطيبات التي نصنعها من الطيبات.

﴿كُلُوا۟﴾ ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فمن يحرم نفسه أكل الطيبات المرزوقة فقد عبد هواه دون الله، ومن لم يَشْكُر الله على الطيبات، فقد عبد هواه دون الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٢].

أجل - وإن تحريم ما أحلّه الله عملياً أو عقيدياً أو جميعاً، هو من الإشراك بالله وكفر به، كما وترك شكر الله فيما أنعم من الطيبات هو كفران، أم كفر وإشراك بالله.

يقول الله في حديث قدسي يرويه عنه الرسول القدسي ﷺ: «إني والجن والإنس في نبأٍ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري»[٣].

و«إن الله طيِّبٌ لا يقبل إلّا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: يا أيها الرسول كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم» وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٤].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٣) تفسير الفخر الرازي ٥: ١٠ عن أنس عن النبي ﷺ . . .
(٤) الدر المنثور ١: ١٦٨ - أخرج أحمد ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي=